ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Ali Hossam Abd Ali

Dr.Atta Salman Jassim

University: Wasit University

College: College of Arts Education for Human Sciences

Email:

Keywords:

material temptation, exhortation ,Public gain

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	29 Jan 2021
Accepted	24 Sep 2022
Available online	1 Oct 2022

The methods and process used by the Mamluk authority to prevent revolutions and rebellions (648-923 AH)

A B S T R U C T

The process of the Mamluk authority diverse in dealing with the insurrection and revolutions that accompanied their emergence throughout the Mamluk era, but each insurrection or revolution had its own facts, merits, and circumstances, whether they were political, social, economic, religious or military, and the Mamluk sources permitted mentioning the speed up events. Some of them eliminated their order before their occurrence with ease, and this is imperative to the extent of the strength of the security apparatus affiliated to the ruling authority, and some of them have eliminated them through temptations, whether they were fiefs or financial grants, and some are beyond the control of human beings such as natural disasters and the spread of health epidemics, such as the plague and other diseases, and there are those who eliminated it through methods of intimidation and temptation

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

الأساليب والطرق التي استخدمتها السلطة المملوكية لدرء الثورات والتمردات (648-923هـ)

م.م علي حسام عبد علي/جامعة واسط – كلية الاداب

أ..د عطا سلمان جاسم /جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

الخلاصة:

تنوعت اساليب السلطة المملوكية في التعامل مع التمردات والثورات التي واكبت خروجها على طوال العصر المملوكي ، إلا أن لكلَّ تمرد أو ثورة لها معطياتها وحيثياتها والظروف الخاصة بها سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو عسكرية ، وقد أجازت المصادر المملوكية في ذكر الأحداث المتسارعة ، منها من قضى أمرها قبل حدوثها بكل سهولة وهذا يتحتم على مدى قوة الجهاز الأمني التابع الى السلطة الحاكمة ، ومنها قد قضى عليها من خلال الإغراءات سواء كانت أقطاعات أو منح مالية ، ومنها خارج عن إرادة البشر مثل الكوارث الطبيعية وانتشار الاوبئة الصحية ، مثل مرض الطاعون وما شابه ذلك ، وهناك من قضي عليها من خلال أساليب الترهيب والترغيب ، إن سياسة شراء الذمم وكسب الولاءات التي اتخذتها

الدولة المملوكية في القضاء على التمردات والثورات أثَّرت بشكل كبير في ضعفها وانهيارها بتمرد الأمراء والقيادات العسكرية لصالح الدولة العثمانية .

كلمات مفتاحية: الإغراءات المادية ، سياسة الترغيب والترهيب ، استقطاب الطبقة العامة ضد التمردات والثورات

اولاً : الإغراءات المادية

استخدمت السلطة المملوكية وسيلة الاغراءات المادية في قمع وصد التمردات والثورات التي زامنت بعض السلاطين المماليك وقد تحقَّقت بعض الأهداف المهمة في صد الخصوم عن طريق الإغراءات المالية .

ومن الأمثلة على نجاح سلاطين المماليك في اخماد التمردات التي هدَّدت امنهم ومستقبلهم وبأسهل الطرق ، مستخدمين المال بوصفه وسيلة أغراء وشراء ذمم المتمردين وإعادتهم الى جانب السلطة الحاكمة ، ففي سنة (658هـ/1260م) تمرد الأمير سنجر الحلبي على السلطان الظاهر بيبرس في الأراضي الشامية ، واستطاع الأمير أن يعلن نفسه سلطاناً في بلاد الشام ، إلا أن حنكة وسياسة السلطان كانت أقوى وأشد من الأمير المذكور ، حيث تمكن من القضاء على هذا التمرد بكل حنكة ودهاء ، لاسيما أن خطر التتار لازال قائماً ، لذلك كان من الصعب ان يحشد الظاهر بيبرس المزيد من الجيوش في قمع المتمردين ، لذا أتجه الى وسيلة بذل المال لقاء التخلي عن الأمير سنجر الشجاعي (ابن كثير : 1998 ، ج13/ص224 ؛ المقريزي : 1997 ، ج1/ص521) .

لقد أدى المال دوراً كبيراً ومؤثراً في تغيير مواقف بعض القيادات العسكرية ، بسبب الصراعات والفتن التي شاعت في العصر المملوكي ، ففي سنة (742هـ/1341م) عند تسلطن الناصر شهاب احمد قام بتصفية الامراء المعارضين له ، وإستبدالهم بأمراء وقيادات قد ضمن ولاءهم، وقد أنعم عليهم بالأموال الطائلة لقاء نيل الولاء ، (ابن إياس : 1964 ، ج1/ص179) ، إلا أنه لم يدم طويلاً بسبب الصراعات والفتن، والتي تزامنت معها أزمة اقتصادية حادة ، لذا ترك الحكم ورحل الى الكرك حاملاً معه أموالاً طائلة ، وقد طلب منه الرجوع الى الحكم ، إلا أنه رفض بعد ما وشى عليه أحد أتباعه بنية الأمراء المبيتة في أغتياله ، وعلى أثرها أُرسلت له حملة عسكرية بقيادة الأمير قطولوبغا ، الذي استطاع السلطان المخلوع أحمد من إستمالته ومن معه من جند لجانبه بعد بذله أموالٍ كثيرة ، وقد تقدَّم السلطان ومن معه من جيش نحو دمشق ونادى **" من اراد الاقطاع والنفقة فليحضر"**، (ابن تغري بردي : 1972 ، ج10/ص35 ؛ المقريزي : 1997 ، ج3/ص349) ، وقد تسابق الأمراء والقيادات والجند ، لاسيما العامة في الدخول في طاعة السلطان الناصر أحمد ، ومن ثم يتضح لنا ان المحرك الاساس في تغيير مواقف الأمراء والقادة العساكر كان المال .

وفي بعض الأحيان قد يصل بالبعض من الأمراء المتمردين الى منصب السلطنة من خلال إستمالة الأمراء والحاشية ، لاسيما عساكر الجيش بالمال لقاء الولاء والنصرة ، كما حصل مع متولي نيابة حلب الأمير يلبغا الناصري ، وذلك في سنة (791هـ/1389م) حيث وقع خلاف ما بين الأمير الناصري مع أحد كبار الأمراء في الشام الأمير سدون المظفر، وعند ورود الخبر الى السلطان الظاهر برقوق ، أرسل أحد ثقاته من الأمراء يدعى تلكتمر الدوادار المحمدي ليصلح فيما بينهم ومعه هدية : **"بعث السُّلْطَان هَدِيَّة الْأَمِير يلبغا الناصري فِيهَا عدَّة خُيُول بقماش ذهب وقباء "** ، (المقريزي : 1997 ، ج5/ص216) ، إلا أن الأمير الناصري رفض هذا الصلح ودبَّر مكيدة لقتل الأمير سودن المظفري بتعاون أحد اتباعه الذي أغراه بالمال حيث بذل له مئتين وخمسين دينار، ليعلن عصيانه وتمرده على السلطان الظاهر برقوق بمعية القبائل التركمانية ،لاسيما عربان الشام الذين أستمالهم بالمال ، (المقريزي : 1997 ، ج5/ص159 ؛ ابن حجر : 1969 ، ج1/ص364) ، لذا أثار هذا الأمر حفيظة السلطان الظاهر برقوق ، ودعا الى اجتماع طارئ بحضور كبار الأمراء والقادة العسكرين ،لاسيما القضاة الأربعة ، وأتفق الأمراء على الخروج بتجريدة عسكرية لقمع تمرد الناصري ، (ابن حجر : 1969 ، ج1/ص364) ، إلا أن المال كان هو الفيصل في حسم التنافس ما بين الظاهر برقوق والأمير يلبغا الناصري ، فقد أستطاع الأمير المذكور بمحاكاة وإستمالة حكام النيابات الأخرى الذين استمالهم بالمال والهدايا والخلع ، لقاء التأييد والطاعة والولاء ، وعلى أثرها نال الأمير الناصري الثقة والولاء ، كما أغدق الأمير الناصري على الأمراء والحاشية المقربة الأموال الطائلة كل حسب رتبته داعياً من ذلك الولاء والطاعة ،(ابن حجر : 1969 ، ج1/ص217) ، لتدخل غالبية الأراضي الشامية أمثال الأمير سيف الدين بيرم متولي نيابة حماة ، وأمثال أمير العربان نعير ، ولم يبقَ للسلطة المركزية المملوكية في الشام إلا قلعة دمشق وبعلبك، (السخاوي : 1992 ، ج10/ص204 ؛ ياقوت الحموي : 1054 ، ج1/ص453) ، التي دخلت في الطاعة و الولاء فيما بعد ، الذين أستمالهم بالمال دون القتال للدخول في طاعة الناصري ، ليتوجه الناصري الى الأراضي المصرية والسيطرة عليها ، مما أضطر السلطان الظاهر برقوق بتسليم عرش السلطنة للأمير الناصري مقابل حياته ، ليرحل الى الكرك منفياً، (المقريزي : 1997 ، ج5/ص218) ، يتضح لنا من خلال سير الأحداث التي واكبت تمرد الأمير الناصري على السلطة المركزية المتمثلة بالسلطان الظاهر برقوق ، من إزاحته من منصب السلطان والجلوس مكانه ، بعد ما كان المال العنصر الفعال والرئيس في وصول الأمير المذكور .

وفي سنة (809هـ/1406م) حصلت تمردات في الأراضي الشامية من قبل الأمراء الطامعين في كرسي السلطنة ، أمثال الأمير نوروز والأمير جكم ، إلا أن السلطان الناصر فرج بن برقوق كان قد تعامل مع تلك الحركات بكل حنكة ودهاء ، حيث عمد الى شراء ذمم القيادات والجند، لاسيما بعض الأمراء المقربين من

قادة التمرد ، فبذل لكل مملوك نحو خمسمئة دينار ، كما قد رسم لكل مقدم ألف عشرين ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناة الفي دينار، (المقريزي : 1997 ، ج6/ص171-172) ، يبدو ان السلطان الناصر فرج كان متخوفاً من قيادات التمرد من أستخدام الجيش ضده ، لذا عمل على إغرائهم بالمال لكي يكون له سنداً ويداً قوية تقارع التمرد وتفرض الطاعة والولاء للسلطة المركزية ، كما يتضح لنا ما رسم له السلطان الناصر بتفكيك القوة المعارضة له بالمال بعد إستمالة بعض القيادات لجانبه من خلال الهدايا والخلع التشريفات السلطانية ، لاسيما المنح المالية .

وفي سنة (842هـ/1438م) تمرد الأمير قرقماس ، (الأمير قرقماس : الشعباني الظاهري ، كان من مماليك السلطان برقوق ، ثم أصبح تابع الناصري ، اعتق وترقى في المناصب حتى اصبح دواداراً وتحالف مع الأمير جقمق العلائي بعد إغرائه بالمال ضد السلطان العزيز يوسف ، ثم انقلب على الأمير جقمق 842هـ/1438م ، لكنه هزم وقبض عليه واعدم في الاسكندرية . (السخاوي : 1992 ، ج6/ص220) ، حليف الأمس للسلطان جقمق الذي إستماله بالمال لقاء مساعدته في خلع السلطان الأسبق العزيز يوسف ، (السلطان يوسف بن برسباي : الملك العزيز أبو المحاسن بن السلطان الملك الأشرف أبي النصر. ولد سنة سبع وثمانمئة. وولي السلطنة فِي سادس عشر ذي الحجة سنة إِحدى واربعين وثمانمئة. ثم خلع فِي سادس عشر ربيع الأخرة سنة أثنتين وأربعين وثمانمئة، وسجن بالإسكندرية، توفى فِي محرم سنة ثمان وستين وثمانمئة. (السيوطي : 1967 ، ج1/ص179)، وكان تمرده على السلطان جقمق بتعاون المماليك الأشرفية الذين إستمالوه لجانبهم بعد أن عرضوا عليه أموالاً طائلة ، إلا أن السلطان جقمق أستطاع القضاء على هذا التمرد مستخدماً الوسيلة ذاتها في إغراء المماليك الأشرفية ،لاسيما طوائف العامة فقد أستخدمهم في صد التمرد مقابل عشرين دينار لكل من ينظم إليه من زعر القوم ، كما منح مئتي دينار لكل من يتخلى من المماليك الأشرفية عن نصرة الأمير قرقماس ، (المقريزي : 1997 ، ج7/ص375-386)، وبهذا يتضح لنا أن المال قد فعل فعلته في تشتيت جيش الأمير قرقماس ، كما أن للمال فضلاً في بقاء السلطان جقمق في دست الحكم .

كما أستطاع السلطان ططر في سنة (824هـ/1421م) من إستمالة كبار الأمراء بالخلع والأموال والتشريفات السلطانية لقاء التأييد والولاء ، إلا أن مؤامرات الأمراء في الأراضي الشامية لازالت باقية وقد أعلنوا عصيانهم للمثول والطاعة للسلطة المركزية، لذا أستخدم السلطان المذكور المال في كسب ولاء بعض كبار الأمراء في بلاد الشام داعياً من ذلك شرذمة تكتلاتهم مما يسهل عليه في القضاء على الثلة القليلة من المعترضين على حكمه ، (ابن حجر : 1969 ، ج3/ص254-258 ؛ السخاوي : 1992 ، ج4/ص7)

كما نجده في بعض الأحيان يستخدم المال بطرق أخرى ، إلا أنه كان لغرض كسب الولاء والطاعة للسلطة المملوكية ، ففي عام (916هـ/1510م) قام السلطان الاشرف قانصوه الغوري ، ببذل الأموال لقاء إنهاء الخلاف ما بين الأمراء والجلبان ، وأحضر لهم المصحف الكريم فأقسموا عليه بأن لا يثيروا الفتن والنزاعات فيما بينهم ، وقد أجزل السلطان المذكور المال لكل الحاضرين . (ابن إياس : 1964 ، ج4/ص120)

ثانياً : سياسة الترغيب والترهيب

يُعدُّ الترغيب والترهيب من الأساليب المتبعة والمعتمدة في الدول والأمم السابقة واللاحقة في كبح جماح الثورات والتمردات المناهضة للحكم ، ومن الجدير بالذكر أن أستخدام هذا الأسلوب قد يحقَّق ما تطمح له السلطة الحاكمة من جذب بعض الفئات الى جانبها من خلال تفريق الأموال والخلع التشريفية ، فضلاً عن الهدايا السنية ، ويرهب الفئات الأخرى الأكثر ثباتاً وولاءً لقادة التمرد بالقوة والعقوبات القاسية .

فمن الثورات التي خرجت على السلطة المملوكية ثورة الأمير اقوش البرلي العزيزي ، (الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي أَمير بالساحل وغزة ومعه عدة من العزيزية وكَان قد فارق الناصر يوسف وسار إلى القاهرة فأكرمه السلطان وخرج معه فشهد وقعة عين جالوت ، في سنة 658هـ/1259م ، قبض على الأمير عز الدين أيبك الدمياطي والأمير شمس الدين أقوش البرلي واعتقلهما فكان آخر العهد بأقوش البرلي . (المقريزي : 1997 ، ج1/ص518) ، ضد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري سنة (660هـ/1262م) في الأراضي الشامية وتحديداً في حلب ، فقد شق الأمير عصا الطاعة والولاء للدولة المملوكية مما أثار حفيظة السلطان ، إلا أن حنكة وخبرة ودهاء السلطان كانت هي الأوفر حظاً في التعامل مع هكذا تمردات سواء كان عدواً أو صديقاً وكيف ان يصنع ويغيَّر كلَّ شخص معادي الى صديق وموالٍ له بأنواع الوسائل المغرية ومنها سياسة الترغيب والترهيب ، (العيني : 1987 ، ج1/ص93 ؛ المقريزي : 1997 : ج1/ص539)، التي عمل بها السلطان الظاهر بيبرس مع الأمير المتمرد اقوش البرلي وأشار العيني بهذا الصدد الى تلك الحادثة قائلاً: " فأخذه السلطان بالترغيب والترهيب، وجعل تارة يبسط الآمال، ومرة يضيق عليه الحال، وحينا يتحايل عليه بنوع من الاحتيال، حتى بذل الطاعة، ودخل فيها، فسر السلطان بذلك وأرسل الأمير بدر الدين بكتاش الفخري إلى دمشق ليتلقاه، ورتب الإقامات والأنزال بالطرقات له، ولمن معه من الأمراء العزيزية، ولما وصل أعطاه ستين فارساً وغيرها، وأوسع للذين وصلوا معه على قدر مراتبهم، وقربه وأدناه، واتخذه سميراً ومشيراً وأنيساً ونديما، ثم سأل هو النزول عن البيرة، فأجابه السلطان إلى قبولها منه بعد تكرار سؤاله، وعوضه عنها، ثم قبض عليه في ثاني يوم دخوله القاهرة من سفر الكرك والطور" ، (المقريزي : 1997 : ج1/ص539)، وكان لجانب هذا التعامل قوة عسكرية قد أرسلها السلطان بيبرس تحاول تمشيط الأراضي

التي سيطر عليها الأمير المذكور ومن ثم قطف السلطان الظاهر بيبرس ثمار سياسة الترهيب والترغيب في كسب ولاء الأمير البرلي لجانبه بعد أن حضر الى القاهرة فأستقبله السلطان وأكرمه وجعل منه مستشاراً له بعد أن كان معادياً ،(المقريزي : 1997 ، ج1/ص545)، وبهذا قد أستطاع السلطان الظاهر بيبرس من تغيير الأمير أقوش البرلي من الموقف العدائي الى الموقف الموالي له ، بسياسة الترهيب والترغيب التي أتبعها اتجاهه .

وأستطاع السلطان سيف الدين قلاوون (678-689هـ) أن يحقّق ما عجز عنه السلطان الظاهر بيبرس عنه بتوريثه عرش السلطنة لأبنائه (لين بول : 2015 ، ص522)، وقد أستهل السلطان بداية حكمه بثورة الأمير سنقر الأشقر (ت691هـ/1291م) صاحب نيابة دمشق إذ لم يكن راضياً بخلع أبناء السلطان السابق بيبرس وهم الملك السعيد بركة والملك سلامش ، وأعلن عصيانه عن السلطة المملوكية وأتخذ لقب الملك الكامل ،(الذهبي : 1993 ، ج52/ص119 ؛ الصفدي : 2000 ، ج15/ص279 ؛ ابن دقماق : 1982، ص223)، إلا أن السلطان سيف الدين الألفي أدرك خطورة الموقف، لاسيما بعد أن بادر الأمير سنقر الأشقر بإغواء الأمير أبغا بن هولاكو (ت680هـ/1282م) وذلك بمد يد العون له لقاء السيطرة على الأراضي الشامية ،(ابو الفداء : 1907 ، ج4/ص13 ؛ ابن كثير : 1998 ، ج13/ص347 ؛ المقريزي : 1997 ، ج2/ص133)، لكن السلطان قلاوون لم يستخدم القوة المفرطة مع تمرد الأشقر ، إلا بعد ما وصلته من أخبار عن فشل المفاوضات ،(ابو الفداء : 1907 ، ج4/ص13 ؛ المقريزي : 1997 ، ج2/ص132 ؛ لاشين : 2004 ، عدد 10، ص20)، وقد أرسل اليه الأمير حسام الدين ايتمش ، على رأس أربعة آلاف جندي مما أضطر الأمير سنقر للهرب الى قلعة صهيون،(صهيون : قلعة حصينة من أعمال حمص على سواحل بحر الشام ، في طرف جبل ، خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ، ليس لها خندق محفور، إلا من جهة واحدة . (ياقوت الحموي : 1054 ، ج3/ص436 ؛ البغدادي : 1991 ، ج2/ص858)، بعد هزائم متتالية ، ثم بعث الأشقر طالباً الصلح مع السلطان قلاوون، على أن يحظى الأمير الأشقر ببعض قلاع حلب الواقعة على نهر العاصي ، وأن تعود باقي المناطق الى السلطة المملوكية ،(ابو الفداء : 1907 ، ج4/ص14 ؛ المقريزي : 1997 ، ج2/ص132)، يبدو أن ما سبب إقدام السلطان قلاوون على قبول هذا العرض الذي تقدم به الأشقر هو الخطر المغولي ، الذي أصبح يهدّد كيان الدولة المملوكي ، ففي سنة (707هـ/1308م) ضجت القاهرة بثورة عارمة أشترك بها غالبية المجتمع المصري ، لاسيما قد أشترك بها المماليك الناصرية داعمين للسلطان الناصر محمد بن قلاوون للعودة الى دست الحكم بعد خلعه من الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار، أجتمعت العناصر المناهضة للأميرين تحت القلعة ، مطالبة بنزول الى حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، إلا أن شقيق الأمير سلار سيف الدين سموك انفرد في التصرف وخرج لقمع الثورة ،(المقريزي : 1997 ، ج2/ص414

)، إلا أن الأمير بيبرس الجاشنكير سارع في إعادة شقيق الأمير سلار سموك ، ونهى عن استخدام العنف تخوفاً من ردود أفعال الرأي العام إتجاه السلطة ، وهذا يعطينا مؤشراً كبيراً عن مدى قوة العناصر المناهضة للأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار، فضلاً عن إدراكهم أن أستخدام القوة المفرطة قد يزيد من الأوضاع سوءاً في تزايد نقمة الثورة ، لذا فضَّلوا أستخدام أسلوب الترهيب والترغيب في إجهاض الثورة ،(المقريزي : 1997 ، ج2/ص414 ؛ ابن تغري بردي : 1996 ، ج8/ص173)، وتمثل ذلك بأصدار الأمير بيبرس الجاشنكير أمراً بإنزال قوة تحمل الدبابيس بدلاً من السيوف ، لتفريق الجماهير المحتشدة تحت القلعة ، لكي لا يتسبب في وقوع خسائر بشرية داخل الصفوف ، إلا أن صيحات المناهضين لم تنقطع بنداء " يا ناصر يا منصور " ،(ابن تغري بري : 1996 ، ج8/ص173)، وأزدادت صيحاتهم بتخوين الأميرين في أغتصاب السلطة بقولهم :" الله يخون الخائن الله يخون من يخون ابن قلاوون "، (ابن تغري بري : 1996 ، ج8/ص137) ، لذا قد حتم على السلطان بيبرس الجاشنكير ومساعدة الأمير سلار أستخدام اسلوب الترغيب في جبر الخواطر لجانبه، لاسيما الخلاص من الهلاك فخرج للثائرين قائلاً :" طيبو خاطركم فان السلطان قد طاب خاطره على امرائه " ، (ابن تغري بري : 1996،ج8/ص137)، وقد أقسم لهم ان السلطان الناصر بخير وسوف تتم إعادته الى عرش السلطنة ، وإنهم مماليكه يقيمون له الطاعة والولاء ،(المقريزي : 1997 ، ج2/ص414-415 ؛ ابن تغري بردي : 1996 ، ج8/ص137)، وبهذا الأسلوب أستطاع الأميران من التخلص من نقمة العامة من جانب ، والمماليك الناصرية من جانب آخر بعد أن تصالحا مع السلطان الناصر وأعلنوا ولاءهم وطاعتهم له أمام أنظار العامة والقضاة والأعيان ، إلا أنهم ضيَّقوا عليه حتى أضطر السلطان الناصر الهرب الى الكرك تاركاً السلطنة الى الأميرين بيبرس الجاشنكير والأمير سلار،(المقريزي : 1997 ، ج3/ص417)، وفي سنة (842هـ/1438م) أستخدم السلطان جقمق سياسة الترهيب والترغيب في إلقاء القبض على السلطان المخلوع العزيز يوسف ، حيث أعطى مغريات من مال وإقطاع ورتب جليلة لكل من يدلي بمعلومات عن تواجد السلطان المخلوع العزيز، كما حذر كل من يمنح أي نوع من أنواع المساعدة في إخفاء أو تنقل السلطان المخلوع بالعقوبات ، وأعلن أن دمه وماله مهدور ، وعلى هذا الأساس تسارعت الفرق التفتيشية من المماليك والجند والعامة بالبحث عن العزيز يوسف لقاء الحصول على تلك المغريات الواسعة . (المقريزي : 1997 ، ج7/ص376-379 ؛ ابن تغري بردي : 1996، ج15/ص300-304).

ثالثاً : إستقطاب الطبقة العامة ضد التمردات والثورات

أدى المال دوراً كبير في إستمالة وكسب بعض رجالات الطبقة الخاصة والعامة ، حيث أستغل بعض السلاطين والأمراء حالة البؤس والفقر لتلك الشريحة الكبيرة ، لتغريهم بالمال وإستخدامهم في القضاء على

التمردات والثورات التي تخرج بين الحين والآخر، ففي سنة(742هـ/1341م) أستغل الأمير أيدغمش ، (أيدغمش أَمِير آخور الناصري كَان من مماليك بلبان الطباخي ثمَّ تقدم عِنْد النَاصِر وَأمره بعد مَجِيئه من الكرك فاستمر إِلَى أَن مَاتَ النَّاصِر ثم كان ممن قَام مع قوصون ثم كان ممن قبض على قوصون وجماعته وتنقل في الخدم إلى أَن عمل أَمير آخور فاستمر على ذلك إلى أَن مات واستقر هو المشَار إِلَيه في المملكة وجهز ابنه إِلَى الناصر أَحمد بالكرك ثم لما استقر أَحمد أخرج أيدغمش إلى حلب نائبا ثم كان هو الذي أمسك الفخري لِأَنه جاء إِلَيه مستأمنا فاطمأن إليه فغدر به وجهزه إلى الناصر أَحمد ثم ولي نيابة الشام في أَيام الناصر إسماعيل سنة 743هـ/1342م ، فلما كان في يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرَة منها مات فجاءه بعد أَن حضر الموكب وعلم على القصص وتحادث مع بعض خواصه ثم سمع صوت بعض الجواري . (ابن حجر: 1972، ج1/ص508)، نقمة عوام المجتمع من الأمير قوصون الذي أستبد في زمن حكم السلطان علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون ،(السلطان علَاء الدين كجك السلطان الملك الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون أقيم سلطانا في يوم الْإِثنينِ حادي عشر صفر سنة اثنتين وَأَربعين وسبعمئة ولم يكمل لَه من العمر خمس سنين وأمه أم ولد اسمها أردو تترية الجِنس. ولقب كجك بالملك الاشرف . (المقريزي : 1997، ج3/ص338)، فكانت فرصة ثمينة للأمير أدغمش في إستمالة وشراء ذمة الناقمين لجانبه عن طريق المغريات ، وأشار المقريزي بقوله : " ونادى: معاشر أجناد الْحلقَة ومماليك السُّلْطَان وأجناد الْأُمَرَاء والبطالين يحضروا وَمن لَيْسَ لَهُ لبس وَلَا فرس وَلَا سلَاح يحضر يَأْخُذ لَهُ الْفرس وَالسِّلَاح ويركب مَعنا فَأَتَاهُ جمَاعَة كَثْرَة من أجناد الْحلقَة والمماليك مَا بَين لابس السِّلَاح رَاكب وَبَين ماش أَو على حمَار وَأَقْبَلت الْعَامَّة كالجراد الْمُنْتَشِر " ، (المقريزي : 1997، ج3/ص338)، للوقوع في غريمه الأمير قوصون فلما هجمت الأجناد والعامة على مماليك الأمير قوصون تصدت مماليك الآخير وتشابك الطرفان بالنشاب ، وعلى إثرها انهالت العامة بنهب وسلب أملاك الأمير قوصون بعد ما سمح لهم الأمير أيدغمش وقال لهم خذوا ماشئتم " فهجم الْعَامَّة عِنْد ذَلِك على إصطبل قوصون ونهبوا ركب خاناته وحواصله وكسروا بَاب قصره بالفئوس ... حَتَّى نهب جَمِيع مَا فِي إصطبل قوصون من الْخَيل والسروج وألات الْخَيل وَالذَّهَب " ، (المقريزي : 1997، ج3/ص338)، وبهذا أستطاع الأمير ايدغمش كسر شوكة الأمير قوصون وذلك بعد أستخدام وإستمالة العامة لجانبه ، وعلى إثرها إضطر الرحيل الى الأراضي الشامية فيما بعد . (المقريزي: 1997: ج3/ص355)، وكذلك في سنة (791هـ/1389م) أجتمع عددٌ كبيرٌ من المماليك الظاهرية الرافضة لحكم الأمير يلبغا الناصري ، وكان هذا التجمع تحت قيادة الأمير منطاش الذي أستطاع من خلال المال والأقطاع والوعود المغرية من إستقطاب عددٍ كبيرٍ من العوام ، وإشراكهم في القتال لقاء الحصول على المال ، في مقارعة غريمه الناصري ، (المقريزي: 1997: ج5/ص245)، وقد ذكر المؤرخ المقريزي أن العامة

قد تزاحمت على حمل النشاب لقاء الحصول على المال ، لدرجة بلغوا المخاطر فمنهم من كان يقفز في الهواء ليخطف سهام الجيش الناصري ليأتي به الى الأمير المنطاش ليجزل عليه المال. (المقريزي: 1997: ج5/ص245).

وفي سنة (902هـ/1497م) تمرد الأمير قانصوة خمسمائة ، (الأمير قانصوة خمسمائة :وهو من المماليك السلطان الاشرف قايتباي ، ترقى ليصبح دواداراً ، ثم امير خور ، وكان من كبار الأمراء المماليك في مصر زمن السلطان الناصر محمد ابو السعادات . (السخاوي : 1992، ج6/ص199)، في الأراضي الشامية على السلطان الناصر محمد ابو السعادات صاحب الدهاء والحنكة السياسية ، حيث نجد تعامله ربما اختلف بعض الشيء عن أسلافه ، فلم يخرج بتجريدة عسكرية لقمع تلك التمردات ، بل حاول التقرب والتودد من خلال الأموال والهدايا الى الأمير اقبردي الدوادار، (الأمير اقبردي ، وهو من اقرباء السلطان الأشرف قايتباي ويقال ابن عمه ، ترقى الى ان اصبح دواداراً . (السخاوي : 1992، ج2/ص315) صاحب النفوذ في الأراضي الشامية ، في حين كان على خلاف معه، (ابن طولون : 1998، ج1/ص141) ، إلا أن المصلحة اقتضت في كسب حليفٍ مهمٍ مثل الأمير أقبردي الدواداري ، لاسيما ان الفريقين قد شكلا خطراً على السلطان المذكور ، لذا أن إستمالة الأمير أقبردي كانت لغرض التخلص من الطرفين ، وقد يسهَّل على السلطان أبو السعادات في مقارعة خصمٍ واحدٍ ، وعلى هذا الأساس أرسل السلطان المذكور الأموال والهدايا ، ولاسيما السلاح له ومن تبعه من الامراء والعامة ، الذين إستمالهم الأمير أقبردي بالمال لقاء النصرة والولاء ضد الأمير قانصوة خمسمائة ، وبهذا قد حقَّق السلطان الناصر أبو السعادات نصراً مؤزراً على خصمه العنيد قانصوة ، بسواعد الطرف الثالث المتمثلة بالأمير أقبردي والطبقة العامة،(البصروي : 1987، ج1/ص204-205 ؛ ابن طولون : 1998، ج1/ص141) ، إذاً كان المال في كل الأحوال والعصور الوسيلة المغرية في قمع التمردات والثورات في إستمالة الأمير أقبردي الدواداري هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قد جعل السلطان الناصر أبو السعادات من الامير المذكور حلقة وصل ما بينه وبين الطبقة العامة في بلاد الشام .

وفي سنة (904هـ/1499م) تمرد حليف الأمس الأمير أقبردي الدوادار على السلطان الناصر محمد أبو السعادات في الاراضي الشامية ، وعلى أثرها أرسل السلطان أحد تابعيه الأمير أينال الفقيه لصد هذا التمرد ، إلا أن الإخير قد خان السلطان بعد ما أستماله الأمير أقبردي الى جانبه من خلال المال ، مما حتم على السلطان من إرسال مبعوثٍ ثانيٍ يدعى جان بلاط ،(الأمير جَان بلاط : أَصله لدولات باي الحاجب ، فقدمه حِين كان نائب بملطية للدوادار يشبك فقدمه مَعَ غيره للاشرف فأعتقه وعمله خاصكيا ثمَّ دوادارا صَغِيرا عوضا عَن أربك قفص بل وصيره الشاد فِي أوقافه والناظر على خانقاه سرياقوس مَعَ دوادارية المناشير

لطرابلس وغيرها من الجهات رغبة فِي تنميته ومحبة لرفعته ثمَّ أمره عشرَة عوضا عَن شاذبك آخوخ حِين أستقر فِي نيابة القلعة وأمره على المحمل فِي سنة ثَلَاث وَتِسْعين فلما عاد أعطَاهُ إمرة أَربعين والبسة إمرة الْحَج ثانياً فَلم تتمّ بل سَافر مَعَ المجردين الَّذين باشهم قانصوه الشَّامي إِلَى حلب فدام بهَا ثمَّ عينه رسولا إِلَى ابن عثمان وذلك فِي رمضان سنة سِت وَتِسعين وَعين مَعَه البدر بن جمعة مَعَ الانعام عليه، وفي غيبته أعطَاه تجارة المماليك وَلما عاد وَاستقر أَمر ابن عثمان على الصلح أعطاه تقدمة . (السخاوي : 1992، ج3/ص62)، الذي عمل على إستمالة العامة الى جانبه من خلال ما بذل لهم من مال وجوائز ثمينة لقاء التخلي عن المتمردين ، والدخول الى طاعة السلطة المركزية في مصر،(ابن طولون : 1998، ج1/ص167)، كما عمل على إستمالة الأمراء والموالين للأمير الدواداري ، وأعلن أمام أنظار الحاضرين من الأمراء والقادة العسكريين تكريم من يرجع الى الطاعة والولاء وله الأمان مع الأحتفاظ برتبته المرسومة وله مبلغٍ من المال هدية من السلطان،،(ابن طولون : 1998، ج1/ص167)، وعلى هذا الأساس قد تخلى غالبية الأمراء والموالين عن الأمير المتمرد أقبردي الدواداري والدخول في طاعة ولاء الناصر أبو السعادات . (ابن طولون : 1998، ج1/ص167)، مما يجدر بالذكر أن السلطة المملوكية أستخدمت أحياناً الطبقة العامة في عملية تصفية الحسابات والأغتيالات لقاء المال ، كما حدث في سنة (803هـ/1400م) عندما أستخدم الأمير سعد الدين بن غراب ، جماعة من زعر الأسكندرية ، بالمال لقاء اغتيال نائب الاسكندرية ارسطاي ، حيث بذل خمسمئة درهم لكل واحد منهم ، إلا أن الأمير ارسطاي أحس بذلك ، وعلى إثرها ألقى القبض عليهم جميعاً منهم من قتل ، ومنهم من قطعت اياديهم . (المقريزي : 1997، ج6/ص66) واخيراً يمكننا القول ان الأساليب التي اتبعتها السلطة المملوكية كانت تصب في خانة شراء الذمم لكسب الأعوان والأنصار في مقارعة التمردات والثورات .

الخاتمة

إن نجاح وفشل التعامل مع التمردات والثورات يكمل وراء قوة وضعف السلطان من حيث الحنكة والدهاء في إستقطاب الأمراء والقيادات لعسكرية المتمردة من خلال الإغرات المادية التي غيرت معادلة التمرد الى العودة الى احضان السلطة الحاكمة كما إشرنا لها ، فضلاً عن استخدام اسلوب التغريب والترهيب الذي كان حاضراً عند بعض السلاطين لقاء صد التمرد في الاراضي الشامية ، كما استطاع البعض من السلاطين على إستمالة الطبقة العامة لجانبها من خلال الجانب المادي لدرء تمردات الأمراء و لاسيما ان الطبقة العامة كانت تعيش حالة البؤس والفاقة وقت ذاك .

قائمة المصادر والمراجع

1- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، (بيروت- 1997م)

2 ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ،(1998): البداية والنهاية ، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،د.م.

3 ابن اياس ، محمد بن احمد (ت 930 هـ /1523م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط2 ، تحقيق محمد مصطفى ، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة - 1964م).

4 ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله ،(ت 874 هـ /1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، د.ت ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (القاهرة – 1972) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة- 1996)

5 ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت852هـ/1448م):
إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، ط1، مطبعة أحياء التراث الإسلامي (مصر -1388هـ/ 1969م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية –(حيدر اباد – 1972م)

6 السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد، (ت 902 هـ / 1496م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، د.ت، دار ومكتبة الحياة، (بيروت - 1992م). الذيل التام على دول الإسلام ، تحقيق حسن إسماعيل ،ط1، دار العماد (بيروت- 1413هـ / 1992م)

7 ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت 626 هـ / 1228م): معجم البلدان، د.ت، دار صادر، (بيروت – 1995م).

8 السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت 911 هـ / 1505م) : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة – 1967م)

9 العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود ، (ت 855 هـ / 1451م) : عقد الجمان في تأريخ أهل الزمـان ، تحقيق محمود رزق محمود و محمد أمين ، دار الكتب و الوثائق القومية ، (القاهرة – 1987م)

10 الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد ،(ت 748 هـ / 1347 م) : سير أعلام النبلاء مجموعة من المحققين ، مؤسسة الرسالة ، ط3 ، (بيروت-1993م)

11 الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت 764 هـ / 1364م):الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت – 2000م)

12 ابن دقـماق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد (ت 809 هـ / 1406م): الجوهر الثمين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، جامعة ام القرى ، (مكة – 1982م)

13 أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد ، (ت 732 هـ / 1331م): المختصر في أخبار البشر ، د.ت ، المطبعة الحسينية المصرية (د.م - 1907م)

14 البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت 739 هـ / 1339م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، د.ت، دار الجبل (بيروت – 1991م).

15 ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي، (ت 953 هـ / 1546م) : مفاكهة الخلان في حـــــــــــوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت – 1998م).

16 البصروي ، علي بن يوسف بن أحمد (ت890هـ/1485م): تاريخ البصروي ، تحقيق أكرم حسن الحلبي ،ط1 ، دار المأمون للتراث (دمشق-1408هـ/1987م)

17 بول، ستانلي لين:تاريخ مصر في العصور الوسطى، ط2، ترجمة وتحقيق وتقديم، أحمد سالم سالم، مراجعة وتقديم، أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة – 2015م)

18 لاشين، عصام عبد المنعم:سنقر الأشقر بين سلطنة المماليك البحرية والمغول، مجلة كلية اداب، جامعة بنها، عدد 10، مصر، 2004م

List of sources and references

1- Al-Maqrizi, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Ali،

Behavior to Know the Countries of Kings, Edited by Muhammad Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kotob Al-Alami (Beirut – 1997).

2- Ibn Kathir, Imad al-Din Abi al-Fida Ismail, (1998:(The Beginning and the End, achieved by: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, First Edition, Dar Hajar for Printing, Publishing, Distribution and Advertising, Dr. M.

3- Ibn Ayas, Muhammad bin Ahmed (d. 930 AH / 1523 CE): Badaa'i al-Zuhur fi Waqi'at al-Ahira, ed. 2, edited by Muhammad Mustafa, House of Revival of Arab Books, (Cairo - 1964 AD).

4- Ibn Taghri Bardi, Yusuf bin Taghri Bardi bin Abdullah, (d.874 AH / 1469 CE:(The flourishing stars in the kings of Egypt and Cairo, dt, the Ministry of Culture and National Guidance, Dar Al-Kutub, (Cairo - 1972) The pure and complete manhole after Al-Wafi, investigation by Said Abdel-Fattah Ashour, Egyptian General Book Authority, (Cairo – 1996)

5- Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Muhammad bin Ahmed (d. 852 AH / 1448 AD:(The News of Immersion in the Children of Al-Omar, Edited by Hassan Habashi, 1st Edition, The Islamic Heritage Revival Printing Press (Egypt -1388 AH / 1969 AD(The pearls lurking in the notables of the Eight Hundred, investigation by Muhammad Abd al-Muayed Dhaan, Council of the Ottoman Encyclopedia - (Hyderabad - 1972 AD)

6- Al-Sakhawi, Shams al-Din Abu al-Khair Muhammad, (d. 902 AH / 1496 CE:(The Bright Light of the People of the Ninth Century, DT, House and Library of Life, (Beirut - 1992 AD.(The Complete Tail on the Countries of Islam, Edited by Hassan Ismail, First Edition, Dar Al-Imad (Beirut - 1413 AH / 1992 AD)

7-Yaqut al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah, (d.626 AH / 1228 CE:(
Mujam al-Buldan, DT, Dar Sader, (Beirut – 1995).

8- Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, (d.911 AH / 1505 CE:(
Hassan Lecture on the History of Egypt and Cairo, Edited by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arab Books (Cairo – 1967).

9- Al-Ayni, Badr al-Din Abu Muhammad Mahmoud, (d. 855 AH / 1451 AD:(
The Book of Juman in the History of the People of Time, edited by Mahmoud Rizk Mahmoud and Muhammad Amin, House of National Books and Documents, (Cairo - 1987 AD).

10- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad, (d. 748 AH / 1347 CE:(
The course of the flags of the nobility, a group of investigators, The Resala Foundation, 3rd floor, (Beirut -1993 AD).

11- Al-Safadi, Salah al-Din Khalil ibn Aybak (d.764 AH / 1364 CE:(
Al-Wafi of the Deaths, Edited by Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, House of Revival of Heritage (Beirut - 2000 AD).

12- Ibn Daqmaq, Sarim al-Din Ibrahim bin Muhammad (d. 809 AH / 1406 AD:(
The Precious Essence, edited by Saeed Abdul Fattah Ashour, Umm Al-Qura University, (Makkah - 1982 AD).

13-Abu al-Fida ', Imad al-Din Ismail bin Muhammad, (d. 732 AH / 1331 CE:(Al-Muqtasar fi Akhbar al-Mankhur, d. The Egyptian Husseinieh Press (d. 1907 A.D).

14- Al-Baghdadi, Abd al-Mu'min bin Abdul Haq, (d.739 AH / 1339 CE :(Observatories for checking names of places and Bekaa, dT, Dar Al-Jabal (Beirut - 1991 AD).

15- Ibn Tulun, Shams al-Din Muhammad bin Ali, (d. 953 AH / 1546 AD:(Talking about Al-Khalan in Accidents of Time, Khalil Al-Mansour's investigation, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (Beirut - 1998 AD).

16- Al-Basrawi, Ali bin Yusuf bin Ahmed (d.890 AH / 1485 CE:(The History of Al-Basrawi, Edited by Akram Hassan Al-Halabi, 1st Edition, Al-Ma'moun House for Heritage (Damascus - 1408 AH / 1987AD).

17- Paul, Stanley Lynn:History of Egypt in the Middle Ages, 2nd Edition, translation, investigation and presentation, Ahmed Salem Salem, review and presentation, Ayman Fouad Sayed, The Egyptian Lebanese House, (Cairo - 2015 AD).

18- Lashin, Essam Abdel Moneim:Senqr Al-Ashqar between the Maritime Mamluk Sultanate and the Mongols, Journal of the College of Arts, Benha University, Issue 10, Egypt, 2004).